مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 10 / العدد: 1 (2022)، ص: 7 – 29

# التقارب المنهجي العلمي والتحور المفاهيمي للغة والانعكاس الأبستيمي والحضاري المعاصر

# Scientific methodological convergence and conceptual mutation of language The contemporary epistemological and civilizational reflection.

د. الجمعي محمود بولعراس[1]

[1]أستاذ اللسانيات التطبيقية المشارك بمعهد اللغويات العربية بجامعة الملك سعود بالرياض- المملكة العربية السعودية

boulaares.djemai@gmail.com

تاريخ الاستلام 2022/01/23 تاريخ القبول: 27 /2022/01 تاريخ النشر: 2022/02/16

**الملخص:**

تغيرت مفاهيمنا للغة كثيرا، ومنها مقارباتها؛ بفضل التطور المعاصر للعلوم البحتة، وبالتالي اتخذت من هذه العلوم مفاهيمها مثل الرياضيات، وبخاصة المنطق الرياضي والعمليات الجبرية وتطبيقاتها الدالية التي أعطت مفهوم العبارة الدالية، وفي مقارباتها بعلوم الدماغ والبيولوجيا ازداد مفهومها تعلقا بالعلمية؛ إذ أعطتها مقاربات السلوك نوعا من الارتباط الواقعي، وكذا أنتج بحثها في الدماغ تصورا واضحا وعلما خاصا، ولم تكتف بهذه المرحلة فقط في استمداد شرعية واقعية ،وهي أنها تزاوجت مع علوم الواقع والتداول، فكونت استراتيجية ومفهوما، يبتعد بها على كونها دراسة لذاتها وفي ذاتها، إلى كونها ذات دلالة معرفية وأخلاقية، وهو ما نحاول مناقشته في هذا البحث.

**الكلمات المفتاحية:** التقارب – المنهجي- المفهومية- التحور- اللغة- المعاصر

**Abstract:**

Our concepts of language have changed a lot, including its approaches; Thanks to the contemporary development of pure

sciences, and consequently, these sciences have taken their concepts such as mathematics, especially mathematical logic, algebraic operations and their functional applications that gave the concept of the functional expression. As the behavioral approaches gave her a kind of realistic connection, and her research in the brain also produced a clear conception and a special science, and she was not satisfied with this stage only in deriving realistic legitimacy, which is that she was mixed with the sciences of realities and pragmatics, so it formed a strategy and a concept, which moves away from it as a study of itself and in itself. To be of cognitive and ethical significance, which is what we try to discuss in this research.

**Keywords:** convergence – conceptual- mutation – language - contemporary.

---

**المؤلف المرسل:** د. الجمعي محمود بولعراس

- **تمهيد:**

عرفت اللغة مفاهيما جديدة ومقاربات معاصرة بفضل المقاربات المعاصرة وتفسيراتها، ومن أهمها النظريات السلوكية في تفسيرها للنشاط اللغوي، التي انطلقت من علم النفس الحديث، حيث طبعت على مفاهيمها البيولوجيا وعلم الأعصاب مثل مفاهيم الترابطية منذ بياجيه إلى المحطة التي وصلنا إليها اليوم في العرفانيات والخرائط الذهنية وبناء التصورات وأساليب تجسيدها للمعارف، حيث أن الحديث عن المعارف بعيدا عن اللغة ومفاهيمها لم يعد له في التربويات المعاصرة أي مغزى، حيث أن استهداف اللغة وبناءها للمعاني حسب الرؤى التداولية الحجاجية الدلالية الحديثة هو المعول عليه، فالمتعلم يتلقى أساليب وطرق إقناع بالمحتوى وآلية في التفاعل معها حسب المعطيات السياقية الداخلية

والخارجية وحسب ذكائه أثناء التلقي أو في الإنتاج وقدرته على استنطاق المنجزات، وإلى هذا الحد تتبين إشكاليتنا في أن التكامل بين العلوم ومنهجياتها وخاصة التربوية قرب الأكوان والممكنات العقلية والتصورية، وحيث أن ناقلها الأول هو طرائق اللغات المجسدة لطبولوجيا المنطق الرياضي والعمليات الجبرية، ومن ثم فالمعول عليه في التعليم هو تعليم آليات التفكير وميكانيزمات بناءها للمعارف بطرق اللغة، التي تركز وتستهدف المتعلم، وهنا تتعاون الأطر الاجتماعية التواضعية والسلوكية ومعايير بناء السلوك الأنموذجي وتمثل الأطر الاجتماعية المقبولة، حسب معاييرها وحسب المنطق وحسب الأنظمة التي تكون فيها العلامات اللغوية دالة عبارية .ففلسفة اللغة ورؤاها المعاصرة الرياضية واللغوية والاجتماعية والسيميولوجية والعرفانيات والتداوليات والسلوكية والتربوية والفيزيائية...وغيرها في مناحيها التي تتعدى النواحي الصورية والبنوية والشكلانية ...وغيرها كونت هالة تستدعي التعاون البيني في تفسير مكنونات اللغة، التي هي المعارف في انتظامات تفكيرية تتجسد في أنماط ومنجزات تنطلق أولا من لغتها وطرق تداولها معرفيا، حيث أنها ليست صورة تنقل المعنى وإنما هي شذرات يكملها المتعلمون لهذه المحتويات والتفكيرات المنقولة بواسطتها حسب نموهم الذهني والتصوري، ومن ثم يستنتجون هذه المعارف ويهتدون إليها بل يساهمون في بنائها حيث أنها نسبية وتتغير في تفسيرات الأجيال وتأويلاتها الفيزيقية، ومن هنا تبنى العوالم وتأسس العلوم من ناحية ومن ناحية أخرى فآليات تلقي المعارف عبر انتظاماتها التي تتكون عند المتعلم، التي تتبلور في الأشكال التعبيرية لهم عند مواجهة المشكلات والمواقف الحياتية المختلفة، وعندئذ سيتصرفون بسلوكيات تلقيهم المعارف عبر منافذ اللغة بطرقهم الخاصة، فإذا كانت التغذية تامة كانت النتائج مبهرة، ومن ثم نتوقع من المتعلمين الإسهام الإيجابي في تقدم البشرية، بل سيرفضون بعض الأشكال المنتجة من المجتمع الذي هو خليط من الانتظامات

**التقارب المنهجي العلمي والتحور المفاهيمي للغة والانعكاس الأبستيمي والحضاري المعاصر**

الفكرية، إذ تتصارع الأفكار ومن ثم الاحتكام إلى الأقوى فيها في الاقناع والبناء المنطقي، وتنكشف الحيل والمضللات التي تغزو للأسف المجتمعات المعاصرة في محطات الاستغلال البشري ومن أهمها الإعلاميات الموجهة، ولا تتوقف هذه المنتجات التي تراعي ما سلف، بل إنها تعطي الأجيال في البلدان المتحضرة طرق الامتثال الاجتماعي الإيجابي، خاصة إذا سارت العملية حسب توجيه معين في لغوياتها، فمثلا العبارات المهذبة وأشكال بناءها وطرق إقناعها تتجاوز بناها إلى النتاجات السلوكية التي ترفض متعارضاتها، وهكذا سنسير ليس فحسب في تكرار المحكيات بل نجابه مسائل العصر المطروحة في تربية الشعوب، وسيستمر عطاء بناء هذه الانتظامات التفكيرية الآتية أساسا من الرؤى اللغوية التعليمية إلى الإبداع في الأخلاقيات والعلوم والمعارف والتربويات، فلا غرابة في أن هذه المفاهيم الجديدة للغة في التلقي والإنتاج والتداول في مستويات الكلمات والعبارات وأساليب وطرق بناء أنماطها الخطابية والتلفظية في الأطر التعليمية والمجتمعية والثقافية هي المعول علية في بناء الحضارة بمفهوم أوسع، حيث ستتكئ على العلوم والمعارف ذات الصلابة في البناء وعلى الفرد الذي يكون إيجابيا في المساهمة في الدفع بها قدما إلى الأمام، ومن ثم نصل إلى المواطنة التي لا تكون عالة على المجتمع وعلاقاته وعلى النفس. والتي تركز على الآتي:

- منطلقات التعليم اللغوي والتكامل البيني (السلوكية والمنطقية الرياضية والنفسية العصبية والفيزيائية واللسانية المعاصرة)
- المنعكسات التعليمية اللغوية بمفاهيمها الجديدة في بناء المعارف والعلوم والعوالم النفسية والمجتمعية.
- علم اللغة الاجتماعي والأخلاقي وتعزيز المواطنة.
- التمثلات الاجتماعية المعاصرة (قراءة في الوضع والمعالجات)

- السلوك التربوي وتجسيده لغويا (العنف – التأدب- التعلم الإيجابي- المخرجات).
- المخرجات التربوية وسياقات ممارساتها الفعلية (قاعة الدرس- المجتمع- ثقافة الجيل...)
- التحديات التربوية المعاصرة ومجابهتها (المقاربة اللغوية).

**1- اللغة سلوك وليست بنية؟**

الحديث عن دور اللغة في تعزيز التمثلات الاجتماعية الإيجابية وبنائها للمعارف حديث يطول، وسنبدأ بمعطيات البحث من العلوم السيكولوجية والعصبية في تكوين الصورة الذهنية، والمعروفة تاريخيا بأبحاث "بياجيه"، ومنه سننطلق في إعطاء مفاهيم جديدة لمفهوم اللغة، الذي يتجاوز البني والمنطلقات الفلسفية التقليدية، وهذه الخطوة كانت نتيجة خطوات سابقة في البحث والسلوك منذ "ليونارد بلومفيلد" و"سكينر"، حيث كانت منطلقات البحث والرؤى سلوكية كلها، اعتمدت على مفاهيم المنعكس الشرطي بشكل كبير، وكانت تعالج اللغة وتقاربها بشكل يشبه السلوكيات الأخرى، ولم يلبث الأمر على هذا بل تطور شيئا ما، وكانت فاتحة البحث بيد "سكينر"، إذ إن هناك حافزا ومثيرا، وشكله هنا لفظي، وهناك رد فعل كالمثيرات الكثيرة جدا للرد الفعل اللغوي وصدور المنطوق الصوتي لسماع رساله صوتية، وقد يكون لرد فعل حركي. ومن ثم برزت فكرة أو دائرة الكلام(De Saussure,1975)، لكن الأمر هنا وارد كثيرا، وبتعدي كونه مستعملا ووظيفيا وصوتيا بحت، فتدخل من ضمن هذه الردود مفاهيم الضجيج والأصوات المشوشة غير المميزة في اللغة، إذ تعتبر هذه من عوائق الاتصال الخارجي ومن تداخل الأمواج الصوتية، وبحكم شيء اسمه الخبرة يتجسد الاتصال بين الباث والمتلقي، وينتج كفاية اسمها الكفاية التمييزية الاتصالية، وشيئا فشيئا يتشكل ما يسمى بالإجماع الصريح من المتكلمين، وتتشكل الشفرة أو العلامة،

## التقارب المنهجي العلمي والتحور المفاهيمي للغة والانعكاس الأبستيمي والحضاري المعاصر

وتبدأ فكرة الحلقة التواصلية تتسع شيئا فشيئا إلى الفضاء الخارجي المرصود بالأفكار والصور الذهنية المثارة بالمنعكسات الشرطية المختلفة وبمرجع السياقات الاجتماعية التي تحصل أثناء عملية الكلام، ومن ثم تتشكل المحددات التي تظهر في أنواع مختلفة، ومنها الرسائل التي تتشكل في علامات. ومن ثم في الصور، ثم تتعقد في عالم من الصور وفي نظام من الأدلة، وتشبّع بعد ذلك بقصد حين تستثار بمحيط الإنسان ومن المتكلم ومن الأشياء والأحداث على نحو ما (روبول وآخرون، 2003)، إذ أن هناك شيئا نسميه رسائل عصبية تنطلق من جهاز النطق على شكل أمواج صوتية، وبعد ذلك تتمثل في شكل صور معقدة من مجموعة من العلامات أو هي طبوغرافيا مفاهيمية في الدماغ على شكل إشارات كهربائية ناتجه من اهتزاز الحبال الصوتية(الحباشة،2005)، ثم تتكون الخبرة عند المتكلم والمتلقي، إذ تكون خاطرة أو فكرة عن الدليل الذي يأخذ نوعية معينة ومرجعه، وفي الأخير يكون تمثيليا( Oléron,1978)

لكن الأمر في مفهوم اللغة لم يلبث على هذا المفهوم المرجعي كثيرا، وهو ما يوجد في علاقات إنسانية متطورة الذهن وفي رموز اللغة التي لا تنحصر في منتج صوتي فقط، فهناك منتجات كثيرة جدا تمر عبر الوسائل اللغوية اللامنتهية كهيئة الجسم والحركات ونبرات الصوت والكلمات، وفي الكتابات والمطبوعات والقطارات والغرافيتيات والتليفونات وفي الإطار الزماني والمكاني(نيسبت وآخرون، 2005)،

ولم يكتف العلماء بهذا، وظل البحث يتطور وكذا المفاهيم المتعلقة باللغة شيئا فشيئا، لاسيما فيم يشير إلى المرجع، وهكذا إلى الوظيفة التأثيرية إلى تكوّن المعاجم وتكوّن بعد ذلك البناءات اللسانية أو القوالب اللسانية في محوريها التركيبي والاستبدالي، وبعد ذلك يتكون المنتج الخام للتواصل السلوكي اللغوي البشري المعين، وعند التبادل والتأثير تسمى بالأفكار(تشومسكي، 1993)، وإذا

كانت غير ذلك فإنها ستصبح لا لغوية، ومن هذا المنطلق تكونت ثنائية "سوسير" التي ترى أن الفكر واللغة وجهان لعملة واحدة، ولا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض(De Saussure,1975)، ومن ثم فقد ارتدت اللغة أشكال الاتصال، و بدأت التربويات والدعائيات والإخباريات تستثمرها على البشر لا لأغراضها الاتصالية الحياتية فحسب، بل ناقلة كذلك للإحساس والسلوكيات الأخرى الآتية من الحواس الموجودة عندنا غير الفكرية، مثل الحوادث الآتية من الذوق والرؤية واللمس والسمع والشم والتي تتحقق في الكتابي أو الشفهي اللساني.

فقضية اللغة توسعت كثيرا لاستخدمها بناءات من الأدلة المختلفة في أنظمتها الاتصالية المختلفة. ما يهمنا هنا في هذا المنطلق هو الصورة الذهنية المتكونة من مجموعة من الأدلة ومن العبارات ومن الرموز والأيقونات المختلفة، وهذه الصورة تحدث بعد ذلك بصورة حسابية أو هندسية، وتتشكل مثل تشكلات الكمبيوتر أو الحاسوب في التصور.

ومن هنا بدأنا نتحدث عن مفهوم آخر للغة وبمفهوم أوسع لكونها منتجا تشاركيا لسانيا وسيميولوجيا، متجاوزة بذلك شيء اسمه اللغة بمفهومها التقليدي إلى كونها متلازمة ائتلافية تخضع كذلك لأشكال التلقي غير اللسانية(روبول وآخرون، 2003)، ومن ثم سنتحدث عن منتجاتها وليس عن الأفكار فقط، بل إن هناك شوائب ثقافية تتعلق دائما بالصوت، وهذا السلوك لا يكون بمعزل عن ظروفه التي أنتجت هذا الصوت في حد ذاته، فنحن نختلف في نظراتنا وفي درجة سرعة أصوتنا التي تطبع بالقومية التقليدية، وكذا العروض بمفهومه اللساني الحديث، فهناك مقاطع ومظاهر تركيبية للغة تفسرها قواعد الكيانات المجتمعية المحلية المعينة(نيسبت وآخرون، 2005).

بدأنا نتحدث إذن عن الاصطلاح، وشيئا فشيئا نقترب من فكرة المرجع، الذي يكون هنا في شكل مواضيع أو أحداث أو مراجع تمثيلية أو عوالم نفسية،

وهنا نتحدث عن المحولات الدلالية وإحالاتها التي تشير إليها، ونقدّر بعد ذلك المعلومات التواصلية التي تخدمنا في بناها العميقة بالمفهوم التقليدي.

لكن لم يلبث هذا المفهوم التقليدي أن استقر على حاله، فظهر في البحث العلمي اللغوي الحديث عن شيء اسمه التنفيذ بمستوياته الذهنية والتمثيل في العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين أو التمثيل المتداول للغة، التي توجهت بالبحث إلى شيء اسمه دراسة الذهن اللغوي في دراسة الصورة وخرائطها الذهنية، التي تتشكل في هيئة معقّدة نوعا ما في الشبكة العصبونية التي تحدث في الخلايا العصبية، وبين الانتقالات الجديدة للسيالة العصبية والهرمونية، التي تتكوّن نتيجة سبب خلقي محدد مرارا وتكرارا، لتجسد أحداث اللغة عند المتكلمين في سياقها الطبيعي(الحباشة،2008).

وبدأ البحث اللغوي يتحدث عن شيء اسمه السلوك اللغوي ودراسته سلوكيا، فهناك إذن جهاز موجود لدينا يتطور كل لحظة، وتزداد تعقيداته، كما أننا لسنا نملك نمطا واحدا طوال حياتنا نظرا لتطورات الهوية اللغوية وتلقيها، ومن ثم بدأت البحوث اللغوية شيئا فشيئا تتحدث عن استثمار هذه النتائج في التعليم أيّا كان، وملائمته للغة وتوفير وسائل ومتطلبات هذا السلوك للأجيال المتلاحقة في الجيل الآني، وسنتجاوز تقنية التقليد والمحاكاة إلى شيء اسمه الابتكار من المثيرات الطبيعية، وطبيعي أن نتاج الجيل الأول للغة كان لتلبية الرغبة التي تأتي بأسلوب المحاكاة، ولكن في المناسبات المحرجة، ومقارنتها بظهور سلوكيات أخرى في سياقات ومعارف جديدة ولدوافع داخلية(Oléron,1978)

سنتحدث إذن عن كفاية الفهم وكفاية التأويل، وهناك كفاية النصائح اللغوية أو المقبولية الاجتماعية لنتاجاتها، ومن خلالها هذه النصائح اللغوية بدأ هناك منحى بحثيا، سواء أكان ضمني الشكل أو في شكل جملة التأليفات أو

التوليفات أو الملفوظات الحياتية في البناء المعرفي، القائم على نسج العلاقات المختلفة بين الأشياء والمحيط ومراجعها التمثيلية(عبد الرحمن، 1998)، ومن هنا فالتواصل هو طريقة للتفكير وطريقة لعقد الشبكات أو الخرائط الذهنية في السلوك الإنساني عموما، وبوجه الخصوص نقصد هنا تلك المؤثرة في بناء السلوك اللغوي الذي يأتي من الوراثة والبيئة بمعناها الواسع: الحضاري أو التربوي أو حتى النفسي والثقافي والأخلاقي والأيديولوجي والبناء الحضاري الاجتماعي، وبوساطة التفاعل الاجتماعي مع المتكلمين ينشأ التطبيع الاجتماعي أو التواضع الاجتماعي، الذي ليس محله فقط اللغة، وإنما هناك ما يحدث داخل الصحبة والرفقة والوسط(روي سي،1989)، وبعد ذلك تلعب الوسائط الاجتماعية الإعلامية والأنماط الثقافية في تكوين شخصية الفرد أو الإحساس بجنسه وثقافته ومتغيراته الجغرافية وظروفه الطبيعية والاقتصادية والبشرية في النمو والتنمية(فاخر ،1984).

أصبحنا نتحدث عن التنمية الاجتماعية، وهكذا نتعلم من خلال التلقي والإدراك والتنفيذ، التي هي عمليات تغير سلوكي متجدد، ودائما مصاحبا للخبرة والممارسة، ومنه سيتكون شيء اسمه التكوّن العقلي بالمحاكاة أولا الذي سيتغيّب بعد ذلك في الانتقالات الجديدة أصواتيا أو في الوحدات وفي الكيانات اللسانية بوجه العموم(فاخر، السابق).

**2-السلوك اللغوي والنشوء المعرفي:**

لحد هذه الساعة وصلنا إلى شيء يصطلح عليه بأنه تطور معرفي أو معرفه مبدئية بنسبة الذكاء لدى المتكلمين الذي يسمح لهم بالتكيف البيولوجي، ويمنحهم وظيفه اسمها الوظيفة التفكيرية حول الأشياء التي تتبناها اللغة(بياجيه، 1947) . وفي آخر المطاف يُبنى لدى المتكلمين شيء اسمه التكوين المستمر

للتراكيب المختلفة وللتوليفات المختلفة وللوظائف التفكيرية، ومنها المعرفة التي تحدث وتعرف لغويا ابتداء.

فهل ستظل هذه المعطيات ثابتة. إننا ازاء متغيرات لانهائية، ومواقف اجتماعية وعقلية متطورة دائما، سواء على المستوى البيولوجي أو الفيزيائي(Oléron,1978)، وهذا ما سعى "بياجيه" في التساؤل عنه في حياة الفرد، فهناك شيء اسمه التمثيل والتكيّف، التي تكون وظيفية بين التفكير والأشياء(بياجيه، السايق)، وهي التي نأخذ عنه خبرة أولية، وبصفة مستمرة، تتكوّن منها الأنماط المعرفية المختلفة، ويتكوّن العلم من المعمارية التفكيرية للغة(جيامباتستا،1970)، وبصفة العوالم الدنيا التي هي أساليب تفكيريه متغيرة بدرجة تضمنها الوظائف الجيولوجية - إذا صحّ القول- بطرق التكيّف والتمثيل والملاءمة(بياجيه، السابق)، فالمعرفة هي عباره عن تجربة عقلية في ترتيبات وتنظيمات متجددة دائما، وبحكم دخولها في نطاق الأشكال المدركة المستعينة بالتفكير دائما في نسق لغوي فهي معرفة(الحباشة، السايق) تنتجها وتبدعها اللغة، ومن ثم بدأت البحوث اللغوية تتحدث عن شيء اسمه الذكاء الحسي الحركي(بياجيه، نفسه) وبدأ شيء اسمه الثوابت اللغوية أو المصنفات المحددة بها، وبالتطور تتشكّل الأشكال الحياتية، وبعد ذلك تتجسد بطرق مادية مختلفة الأشكال، ولانهائية التمثيل(Piaget &all,1977).

وسواء أكانت البيئة المحيطة بنا خارجيا أم داخليا في الذكاء، فنحن ننتج أفعالا وضروبا من السلوكيات تمثل مختلف المواقف اللانهائية للغة، وتكوّن ملكة داخلية(بياجيه، السايق )، وهذا المفهوم الجديد للغة سمح بتجاوز مهارة التنفيذ إلى السؤال عن كيف تتفاعل اللغة مع البيئة بطرق إدراكيه للأشياء والمحيلات، وما يهمنا هنا هو تمثيل التعرف أو تمثيل المعرفة الذي يتجاوز المحاكاة إلى

التوليفات الجديدة، وما المعرفة إلا أنماط توليفة لغويه تحمّل من مواقف لا نهائية وفي صور ذهنية مختلفة(Piaget & all,1977)، ومن ثم لم تلغ البحوث السلوكية المسموح بها في المجتمعيات الجديدة القصد الذي يضيف إلى الفعل المنعكس البحث في التمثيلات التي تناسب تجارب الشخص وعملية الترابط، التي تُنشئ التراكيب المورفولوجية الظاهرية اللغوية الأولية، التي تنمو مع نمو السلوك اللغوي وتعقده التدريجي، وتتكون التراكيب وتنشأ العادات التي هي أحد الأوجه الأولى للقصد(Piaget&all, ibid)، ومن هنا تكوّن المذهب الترابطي الذي طور شيئا ما مفهوم اللغة بإدراج نشاط الخلايا العصبية(العصبونات) في نشوء الصورة الذهنية التي تمثل العلاقات بين الأشياء، فهناك الترابطات الكثيرة ومنها الترابطات المستقلة التي هي دائما ترابطات نتيجة الأفعال المنعكسة الإشراطية، فهي إذن تنظيم متجدد خاضع للبيئة، التي تعمل على استثارة هذه الصور المخزنة أو هذه القصديات التي تحرك الشبكة العصبونية بين هذه الخلايا اللامنتهية للخبرات المكتنزة(تشومسكي،1993)، ومن هنا يبدأ شيء اسمه مرحلة البحوث اللغوية التي تفرق بين العادة والتكيّف العقلي للإنسان عند الإنتاج وما يخترعه من وسائل جديدة في التأليف العقلي(فاخر عاقل،1984) الجديد للمعرفة من طرق الانتظامات اللغوية في مستوى الأشكال الجديدة للتفاعل الذاتي مع مظاهر بدائية اسمها التمثيل التكراري. ومن هنا ظهر التعليم بطريقة تعليم الصور التي لا تنتج إلاّ رد فعل جديد هنا، ونلح على كلمة عدم الاستقرار للتصورات، فنحن إزاء إبداع نسق معرفي لغوي أو قوالب لسانية جديدة تتكرر بطريقة التجريب والتدريب(نفسه)، تبدأ بالكفاية اللغوية عند المتكلمين وعند نشاط التمثيل، الذي يزداد تعقيدا على الدوام وعند وظيفه اسمها التنظيم، والتي تجسد العلاقات المتبادلة مع المحيط في الكيانات اللغوية المترجمة عن الصور الإجمالية منطقيا(عبد الرحمن، 1998)، وبهذا الأسلوب يكون التعرّف عليها، وأنها تكشف

## التقارب المنهجي العلمي والتحور المفاهيمي للغة والانعكاس الأبستيمي والحضاري المعاصر

العلاقات بين الأشياء أو المواضيع، التي نقول عنها أنها نتاج المتكلمين، والتي تعطينا المناظر اللغوية التي سنقول أنها أحد أوجه المعارف التي يتعرف عليها الشخص بالدلالة التعميمية للصورة في وصفة حسية أو هندسية، معيّنة بذلك دلالة لا نهائية من الصور العقلية المستثارة بالترميز والخيال(عجوة،1983)، وبهذا تتشكّل المعرفة، وتظهر أنماط المعارف وأشكالها وأجناسها وما إلى ذلك من نماذجها المختلفة للدلالة. وهذه الأمثَلة والنمذجة تبدأ من الخاطر الحسي الأولي الشرطي، وتبدأ صورها بعد ذلك تتعقد، وتظهر تمثيلات معينة من أجهزة معينة لممارسة اللغة أو الأفكار أو التفكير، وتنتج مناظر تجريبية وأشكال سلوكية جديدة، وتساعد على تفكيك هذه الصور المواقف غير المتوقعة، ومن مفهوم اللغة والخرائط الذهنية والمعرفية والترابط العصبوني (الحباشة، السابق) انطلقت المفاهيم السلوكية المعاصرة للغة، وكانت أكثر مرونة في تجسيد اللغة تجسيدا يتعدى المحاكاة إلى الاستكشاف، وبعد ذلك سوف نتحدث عن اختراع المعرفة بوتيرة التجاوب العقلي والاختلاف في التوليفات الجديدة، والاختراع من طريق الاستقراء والقياس وأدوات المنطق الرياضي والعمليات الجبرية(عبد الرحمن، السابق)، التي تجدد العلاقات بشكل ممارسة النشاط اللغوي، والتي هي تركيب عقلي جديد، يتيح لنا إنتاج الصور الذهنية تركيبا وتفكيكا، وهي ليست ثابتة، وإنما نستنتجها من الذي ذكرناه سابقا، ثم من طريق الاستحضار التصوري لحدود اللغة وممارستها، ومن ضغوطات الوسط الخارجي ندمج صفة عقل المتكلمين شيئا فشيئا بفرضية سلطة منتج اللغة الأولي في تشكيل المعرفة ولغتها الجديدة، وبوساطة القوانين الوظيفية التي تتحكم من جهة أخرى في الحياة العضوية من طرق التأثير المتبادل برزت مفاهيم جديدة للغة، التي تُعرف بالتداولية(روبول وآخرون، 2003)، وهي قراءة أخرى للغة، واستمرار لنشاط اسمه النشاط

التمثيلي وتجريب الأفعال والعادات من طرق التلفظ، لكن بطريقتنا الخاصة، وحسب الظروف الداخلية والخارجية للإنتاج والتلقي وطرق بناء المعنى واستنطاق المدونات وكفاءة الأجهزة الدماغية اللغوية للمتكلمين.

فحسب دعامتنا المعرفية والعقلية والحسية والنفسية والاجتماعية المختلفة تأسست مفاهيم التداولية، وأضافت كذلك مفاهيم الذكاء والفكر أو الذكاء والتفكير والعمليات التفكيرية مفاهيما جديدة للغة، فأدرجت مفاهيم الملاءمة في العرفانية وحياة الفرد غير المستقرة نسبيا والمتنامية رقما واضحا للغة في حلة جديدة في التداوليات الحجاجية المعاصرة، وظهر شيء اسمه القضايا كمصطلح جديد للنمط اللغوي والنسق اللغوي للسلوكيات وكيفية إنتاجها المعرفي بطرقها المعينة، وكخلاصة للتداولية، التي ترى أن اللغة ما هي إلاّ توليفات و تنظيما تفكيريا، وهي لا تلبث على حال عند إنتاجها، وعند ممارساتها وتلقيها وطرق توليفها حجاجيا تتكوّن قدرة على توليد عدد لا محدود عمليا من العبارات أو من القضايا وفهمها بطرق لانهائية، ومن ثم فهناك معارف لانهائية وإبداعات أو تعقّدات لغوية انتظامية تأتي من تفاعلات فكرية ومن تطور ذهني وما لاقاه من مستحثات ودوافع كثيرة، ومن طرق إقناعية، وتكوّن هناك شيء اسمه المظهر الإبداعي في استعمال اللغة(Bruner, 1983)، فنحن نستعمل اللغة بطرقنا الخاصة وعلى حسب استعدادنا على تكوين الملفوظات التي لم نسمع بها من قبل، وحسب افتراضاتنا الداخلية والخارجية نفهم تدوير أو تفسير المعرفة، وليس هناك شيء اسمه بني مجردة تتحكم في تعلمنا السلوكيات المعرفية، بل هي خبرة انتظامية معينة، وبدرجة معينة في الإنتاج والإدراك تترجم لنا كفاية نحوية معينة للفرد، وهي تشكّل نظرية القوة في تحمّل الأشكال التفكيرية، وبشكل مباشر في الملفوظات(Bally, 1952)، التي هي خريطة أولية عصبية وفيزيولوجيه كلامية تتجسد في أجناس معرفية وفي أجناس لغوية لامحدودة.

**3-السلوك اللغوي والمواطنة والتمثلات الاجتماعية:**

تظهر المواطنة من هذه اللحظة ليس في بناء العش فقط، وإنما كذلك في مواجهة المواد التي يصادفها في البيئة بمنطق معين، نتيجة خبرة للقيام بتصرفات ما، وتتوسع مفاهيم العلاقات بين المواضيع إلى كونها نظرية أولية للسلوك في الذهن(عجوة، 1983)، ومن ثم إذا أردنا أن نتتبع ظهور المتغيرات التي تحددها القواعد التي تحكم هذه السلوكيات وحتى الفطرية نفسها، التي تتكوّن بمقياس النظرية السلوكية والاستجابات غير المتوقعة التي تأتي بالمحاكاة، ومن طرق الترابط ومن طرق الترسيمات الصورية في التشكّل(جيرالد، 2014)، الذي يكون ظاهريا في كل لحظة من لحظات إبداعنا في العلوم التربوية والسلوكية والتعليمية، وتستغل وتستثمر هذه المفاهيم المتطورة في معالجات المجتمع أو المتكلمين فيه في التخطيط العرقي لها، وتُوجِد لها دعامات بنائية عبر ما تبنيه هذه الشبكات التواصلية(أيمن،2004). وتحاول بناء هذه الملكة، وتنفي بذلك التفسيرات اللسانية التحليلية والإدراكية للكوامن التواصلية في القالب اللساني، إذا صحّ القول، فهناك عمليات عقلية إذن متضمنه داخل هذه القوالب(Anscombre&all, 1988).

ونتحدث الآن عن إدماج المنطق الرياضي والجبري في اللغة(عبد الرحمن، 1998) وبناء التمثلات الاجتماعية التي تُستثمر فرضياتها في بناء السلوكيات الاجتماعية الآتية من التداوليات التفكيرية في توليفات القضية الجديدة.

وإذا صح القول فإن المعرفة وعبارة المعرفة تعكس الانتظامات التفكيرية والمواقف المتجددة للحياة، وتُفسّر المذاهب المعرفية المعرفة في كونها مقتصرة في التوليفات الجديدة للغة ومن ثم لهذه المعارف (Bruner,1983).

فليس هناك إذن معرفة مبتكرة دون لغة جديدة، وليس هناك معرفة ثابتة، وليس هناك لغة كامنة في بنية، وإنما هي عملية ممارسة اجتماعية وآلية تفكيرية، تُستثمر في المجالات التنمية الاجتماعية والممارسات الإيجابية للغة سواء أكان في السلوكيات والأخلاقيات أم في السياسات التعليمية وبمفاهيم اللغة المعاصرة، وهو ما يضعها في مواقف المجابهة مع السلوكيات المنحرفة والمغالطات الإقناعية المضللة والإشهاريات الدعائية والإعلاميات الموجهة والأيديولوجيات المغرضة(سليمان، 2005)، وبلباس اللغة الجديدة أيضا.

وهنا نفرق ونحن إزاء سلاح ذو وجهين بين السلوكيات وتجديدها لغويا، أي صناعة الوعي كما يقول عنه العلماء الذي يفيد في مجابهة المواقف المبنية عن الأغلاط مثل: مجابهة أغلوطة مظاهر العنف(لوسركل،2005) أو صناعة الأفكار المضللة بمنطق مخادع نتيجة تلقٍ مغالط(أيمن، 2004)، ومنه فالمحاججات المبنية بمنطق صادق تحاول ضبط هذه السلوكيات وتنميتها بالتهذيب اللغوي أو التعليم الإيجابي، الذي يصبح من المفترض مواجها لضغط الأفكار غير المبنية عن منطق رياضي سليم، التي هي تضليلات فكرية ومغالطات اجتماعية تتجسد في استراتيجية مختلفة المناحي(أيمن، نفسه)، ومن ثم نعوّل على تكوين وتشكيل الكفاية اللغوية السليمة، التي تعرف عند الباحثين ما بعد الحداثة بالأخلاقيات البناءة، أو ما يعرف بالأخلاقيات اللسانية والتمثلات الاجتماعية البناءة للمواطنة الإيجابية، من خلال مستويات اللغة ومضامينها وتداولها في الأوساط، التي تكون فيها مناشط اللغة هي بعض التنفيس عن المجتمع، ومن ثم فمنافذ اللغة الآن لن تتحدث عن منتج اسمه المعرفة، لأن قاعدة المعرفة هي التخطيط التربوي الذي يمارس في كيف توزّع هذه المعارف المنتجة أو هذه التمثلات اللغوية بشكل يضمن مصداقيتها أو يسهم في بناء المواطنة والأخلاق والبناء الحضاري، التي تضمن

الاستمرار والحياة بمنطق المشاركة لا بمنطق المصلحة والبرغماتية، ويضمن للأجيال المجابهة العادلة للمواقف المتجددة للحياة(بولعراس،2019)

إن اللغة هندسة فكرية وعملية حسابية تفكيرية وجهاز حاسوبي، وتتجسد في تشكيلات دلالية، نحاول نحن أن نعطيها تخطيطا معينا يتعدى التفسيرات البنيوية إلى التداولية التشاركية.

**4-المعرفة والتربية نوع من التنوير:**

إن أغلبية من له سلطة عن اللغة يحاول في ميدان التعليم تبني السلطة في المعرفة الكامنة في هذه المتتاليات بكمون وفي فصائل طبيعية للغة(فوكو، 1994)، وتعمل الجهات التربوية على برمجيات معينة لهندسة الدماغ، والمفترض فيها أنها تدعمه بقدرات وكفاءات قادرة على التكيّف والإنتاج في الآن نفسه، لأن كائن المعرفة هو نوع من التشكيل اللغوي كما أسلفنا مناقشته، ومن ثم لا تلبث على حال في المطلق، ولابد من تجديدها وتغذيتها ومعالجتها في كل حين حسب كريفي(الحباشة، 2008).

وصلنا إذن إلى أن هناك معرفة يُتحَكم فيها بنوع من السلطة(دولوز، 1987)، وذلك بتوجيهها، لأنها معرفة موجودة عند المتعلم، لكننا نحاول إخراجها وتشكيلها بصورة وإرادة ما، وفي النهاية تخرج بالقوة إلى الواقع بشيء يصطلح عليه بالتنوير المعروف عند كانط وفوكو(**Foucault,1990**)، فالمعرفة هي شكل لطريقة التشكيل اللغوي، وهي عند كانط تتشكل في ذاتها وبطريفة معزولة، ولم يعتمد "فوكو" هذه الفكرة في تشكيل صور المعرفة فـ"فوكو" جمع في الآن نفسه جميع الأمور الثانوية الموجودة، التي تحاول بكلياتها أن تُكوّن كيانات مضيئة بشكل جماعي وتخيلي للعالم بصورة التداول، ونحن نحاول أن نشعّها حتى تنفذ هذه الخريطة أو الهندسة التنويرية بطريقه إيجابية بالنسبة للواقع الحاضر الذي

يختلف عن ما تبقى وما تكون عليه في الماضي في حالة من القصور عند التفاعل، فنحن نحاول أن نقارب بها الاحتمال من طريق التعديل.

إن مصطلح التنوير ينطلق من الشجاعة الفردية على خلق الأكوان لا غير، فالفرد لا يتلقى المعرفة طواعية، وإنما هو منتج لها أو متداول لها بالمعيار الآني المتحول تاريخيا، وبهذا المفهوم نكون قد كوّنا مع "فوكو" المؤسسي والأخلاقي والسياسي للسلوك، التي هي الشروط التي تخرج الفرد عن عالم الطاعة إلى عالم استعمال العقل، ويتبيّن هذا في اللغة في رفض العبارة المألوفة إلى الممارسة الجديدة وإلى الإنتاج النظامي الإنساني المختلف، الذي هو أحد أوجه هذه المعرفة المتشكلة من التنظيمات التفكيرية من طريق التداول أو التناقل الراشد، الذي يبدأ بشيء اسمه الضمير والاستعمال كذلك من وجهة نظر ما من العمومي، الذي لا يستقر على حال في المؤسسة الاجتماعية، فبالشخصية في المجتمع وطلب تطبيق قواعد هذه المؤسسة وتجاوز الممارسة الطواعية العمياء للتفكير في ظروفها المحدودة، وبطرقها الأصيلة الجديدة تكون اللغة قد تشكلت في الذهن بطرق مجابهة الواقع الجديد والمعاصر للجيل، وبعد ذلك سنتحدث عن الأنماط وكيفيات المغالطات المظللة التي تتلبس استعمال العقل للغة المعينة للفرد والمجتمع، التي تصبح مسألة جماعية وبصفة غير أخلاقية في استعمال العقل بشكل عمومي في ممارسة هذا العمل في وضح النهار وليس في ذلك الظلام والشك، وهنا يتميّز مشروع العقل بمظهر الدوغمائية والأشكال الواضحة للاستعمال المشروع للعقل، وفقا لبنود الاستقلال الذاتي للإرادة في فعل تنويري يتجاوز التاريخ إلى الواقع والراهن، الذي يكوّن اتجاهاته الأساسية في الوقت ذاته للكون اللغوي وللمعارف، فهناك إذن شيء اسمه الموضة أو الحاضر للمشروع الذي يقوم على فلسفة تربط تاريخنا، وبنحو وثيق تؤدي فيه عوامل الحداثة بطرقها

## التقارب المنهجي العلمي والتحور المفاهيمي للغة والانعكاس الأبستيمي والحضاري المعاصر

التفكيرية والشعورية وفعلها السلوكي المهمة التي يجب أن نتمثلها بطريقة شخصية، لنجابه بها المواقف المتضادة للحداثة.

إن هذا الموقف الذي يكون له زمنا معينا ينقطع في النشوء بوجه الزوال والتلاشي، وبوجه المحتمل سنتحدث عن الثابت والمتحول عند الأجيال في استعمال هوياتها، التي تخرج بحركة الزمن بمعانيها وبتأويلاتها الخاصة، فهناك استفهام فلسفي للحاضر، نحن نتكلم عن سنن الراهن الذي يختلف باختلاف الجيل في ممارسة اللغة بطريقه وجود هذا الإنسان على نحو تاريخي مستقل، وموجود في تجذّر اجتماعي وهو ما يعطينا تنويرا وتأكيدا جديدا، وفي إشعاع جديد يكوّن الإيمان بالمبادئ الاصطلاحية والروحية والأيديولوجية، ويعطي الفرضية والحرية والسلطة للمعرفة(فوكو، السابق)، ومع التهديدات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهو الأمر الذي تذهب إليه التداولية في أن هناك فروضا وإقناعا وممارسة وضغوطات تمارس في تخوم المعارف ونقل الحقائق وفي التحليل الذاتي التأملي، وعند هذه الإكراهات، ومن طريق النقد الممارس في سياقات حدود الضرورة والعمل الذي يتخطى الإمكانات الكونية للغة، لهذا يركز "دي سوسير" دائما على أن الكلام إبداعي(De Saussure,1972)، إذ النموذجية هناك هي تحولات للتمثلات الاجتماعية بالبراهين الممكنة، التي تتخذها السلطة المعرفية بوسائطها النفسية والتاريخية في عملية اختراع وعمل المؤسسات دائما، وقدرتها على التخطيط الإنساني الجديد بمعارفها الجديدة وأنظمتها الجديدة(دولوز، السايق).

إن هذه البنى المجردة والعفوية -التي تتشكل في اللغة والتي يفترض إدراكها من طريق التجربة في نقل المعرفة وتشكل حدودها أو ما يسمى بالمفارقات في اكتساب القدرات- والمعارف ذاتية كلها، وتتخذ أشكال الأجيال في اجتماعياتها

الاتصالية، ونلحظ هناك التجاوزات في التجربة العملية أو المعرفية في المجال التجانسي المرجعي الذي يمثل الصورة التي يعطيها الناس عن أنفسهم وأشكالها العقلانية(جيرالد، 2014) التي تجسد الحرية الذاتية التي تكون في نطاق المنظومة العملية بوصفها تتضمن ما يقوم به الآخرين في لعبة اللغة عند نقطة معينة، وبطريقة لغوية تحليلية مختبرية وتاريخية تتجسد العلاقات التي نمارسها على الآخرين وكذلك العلاقة مع ذواتنا .

- **خاتمة:**

وأخيرا فالحديث عن دور اللغة في التربية وتجسيدها للتمثلات الاجتماعية المتخذة من الأشكال الجديدة هي في غاية الأهمية وغاية الدقة، بمعنى أننا نتعامل دائما مع مادة تتطور بين فترة زمنية وأخرى، وهي تجسد محددات الممارسات السلوكية بما فيها اللغة والخطابات، من هذه العموميات في وقتنا الحاضر التي تربط وتشكل علاقاتنا الذاتية النفسية والتاريخية والاجتماعية والبيئية، وهي أيضا تشكل تجربتنا وتصنعها، وتجسد النضوج الفكري في جيل من الأجيال من طرق الاستفهام النقدي حول الحاضر، لا من طرق التقليد والمحاكاة القائمة على النقل والاجترار، وتحاول الممارسة الاجتماعية للغة أن تتخطى الحدود، وهو الأمر الذي يقودنا إلى استفهام التماسك المنهجي في هندسة هذه الممارسة لتجديد شكلها الفرضي التاريخي الجديد والمتجدد، الذي يتناول علاقاتنا مع الآخر، وكذلك مع الوعي.

- **المراجع العربية:**

1) أيمن، منصور ندا(2004): الصور الذهنية والإعلامية: عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير، المدينة برس، ط1

2) بولعراس، الجمعي : سياسة القانون الأخلاقي للغة في المجتمع – قراءة لما بعد التداولية في:مجموعة من المؤلفين(2019): الخطاب والأخلاق/ مقاربات بلاغية وتداولية، الأردن، عالم الكتب الحديث، ص 354-380

3) بياجيه جان(1947)– ميلاد الذكاء عند الطفل – ترجمة محمود قاسم ومحمد محمد القصاص . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ط2.

4) تشومسكي نووم(1993) – المعرفة اللغوية ( طبيعتها وأصولها واستخدامها ) – ترجمة وتعليق وتقديم د/ محمد فتيح – دار الفكر العربي القاهرة . ط1.

5) جيرالد هوتر(2014): سلطة الصورة الذهنية: كيف تغير الرؤى العقل والإنسان والعالم، ترجمة علا عادل ط1، الجيزة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

6) جيل دولوز(1987): المعرفة والسلطة: مدخل لقراءة فوكو، ترجمة سالم يفوت، ط1، بيروت – الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

7) الحباشة، صابر(2008): اللغة والمعرفة – رؤية جديدة، دمشق، صفحات للدراسات والنشر

8) ديامباتستا فيكو(1970): العلم الجديد، ترجمة بيرغن وفيش، لندن، مطبعة جامعة كورنيل.

9) روبول، آن وموشلار، جاك(2003): التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر

10) روي سي هجمان (1989)–اللغة والحياة الطبيعية والبشرية –ترجمة داوود حلمي أحمد .الكويت .ط1

11) سليمان، صالح(2005): وسائل الإعلام وصناعة الصورة الذهنية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع

12) عبد الرحمن، طه(1998): اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، بيروت- الدار البيضاء- المركز الثقافي العربي

13) عجوة، علي(1983): العلاقات العامة والصورة الذهنية، القاهرة، عالم الكتب ط1

14) فاخر عاقل(1984) – في علم النفس، دراسة التكيف البشري – دار العلم للملايين – بيروت ط9

15) فوكو، ميشال(1994): المعرفة والسلطة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ترجمة عبد العزيز العيادي

16) لوسركل، جان جاك(2005): عنف اللغة، ترجمة محمد بدوي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة

17) نيسبت، ريتشارد إي(2005): جغرافية الفكر، ترجمة شوقي جلال، الكويت، عالم المعرفة، العدد 312.

- **المراجع الأجنبية:**

18) Anscombre J.C. et Ducrot O., (1988), (2e édition), L'argumentation dans la langue, Liège Bruxelles, Pierre Mardaga éditeur.

19) Bally C., (1952), Le langage et la vie, Genève, Droz (3e édition).

20) Bruner J., (1983), Savoir-faire, savoir dire. Le développement de l'enfant, Paris, PUF.
21) De saussure (F)(1972) –Cours de linguistique général - Payot Paris
22) Michel Foucault(1990): What is Enlightenment? : In politics of Truth, Semio text Ofces, U.S.A, pp.101-134
23) Oleron. P(1978) – le langage et le développement mental – Pierre Mardaga – 2ème Ed Bruxelles
24) Piaget & Inheldey(1977) - la représentation de l'espace chez l'enfant- 3ème Ed. PUF